قراءة ببليوغرافية في كتاب "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" للدكتور محمود السعران.

Abibliographic reading in the book "linguistics an introduction to the arab reader " by Dr. Mahmoud AL-saarane

ط.د. مراد شرفي–mouradchorfi25@gmail.com

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية– قسنطينة

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول: 2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

لقد أدرك اللّسانيون العرب المحدثون أهمية اللّسانيات وضرورة الإلمام بأسبابها إلماما واسعا، ولهذا لم يتوانوا في التعريف بهذا العلم الحديث ومحاولة بسطه للقارئ المبتدأ حتى يتمكن من فك بعض مصطلحاته وتبسيط المفاهيم اللغوية ومناهجها الدراسية، ويعتبر الدكتور محمود السعران من أبرز هؤلاء العلماء الذين تأثروا بالدراسات اللغوية الغربية الحديثة.

ويتجلى هذا التأثر من خلال كتابه"علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، والذي يندرج ضمن الكتابات التمهيدية حيث حاول تبسيط حقائق هذا العلم، وحرصه على الدقة والسلامة من أجل بلوغ مسامع القارئ العربي، وسنحاول في هذه المداخلة الاقتراب من عالم اللسانيات التيسيرية في عالم الدكتور محمود السعران، من خلال التطرق لأهم ما ورد في كتابه المذكور أعلاه.

كلمات مفتاحية: محمود السعران، ، بيبليوغرافيا، اللسانيات التمهيدية، اللسانيات.

Abstract:

Modern Arab linguists have realized the importance of linguistics and the need to know their causes, and therefore they did not hesitate to introduce this modern science and try to simplify it for the novice reader so that he can decipher some of his terms and simplify the linguistic concepts and curricula, and Dr. Mahmoud AL-saarane is one of the most prominent of these Scientists influenced by modern Western linguistic studies.

This influence is reflected in his book 'Linguistics introduction to the Arab reader', which is part of the preliminary writings where he tried to simplify the facts of this science, and his keenness on accuracy and safety in order to reach the ears of the Arab reader, and we will try in this intervention to approach the world of tiseetic linguistics in the world of Dr. Mahmoud AL-saarane, by addressing the most important of his above-mentioned book.

Keywords: Mahmoud AL-saarane; linguistics Preliminary; bibliographia; linguistics.

1. مقدمة

إن الفضل الكبير في تقريب وتبسيط المفاهيم اللغوية ومناهجها الدراسية ثم على يد ثلة من المثقفين العرب المصريين والسوريين واللبنانيين وغيرهم من الذين كانوا محظوظين بالنسبة إلى غيرهم، وتبوئوا مكانتهم الدراسية على رفوف جامعات بريطانيا، وفرنسا خاصة ، فتشبعوا من منابع الثقافة الغربية وجمعوا بينها وبين اللغة الأم التي هي حال لسانهم الكتابي التعبيري اللغوي والأدبي النقدي[1].

ولم تذب شخصياتهم في ظل الحضارة الغربية،أو يتنصلوا عن عقيدتهم وعربيتهم، وبعد اطلاعهم على الحضارة الغربية وأخذ ما هو كاف منها، وبخاصة في الجانب الفكري عادوا إلى أقطارهم العربية وهم عازمون على الوفاء بتأدية الأمانة التي تنتظرهم، كما كانوا الرياديين في رفع لواء راية التدريس الجامعي في الجامعات العربية فأسهموا في تأطير آلاف الطلبة ولولا هؤلاء الذين يعتبرون همزة وصل في تقريب الثقافة بل الثقافات بين الشرق والغرب ما كنا نعرف أعماق البحث ومناهجه الحديثة[2]. ومن بين هؤلاء العلماء الكبار: الأستاذ الدكتور: محمود السعران.

2. التعريف بالدكتور: محمود السعران:

محمود حسن عطية السعران، واحد من العلماء الذين أوقفوا حياتهم على دراسة اللغة، ونشر المعرفة الموضوعية، ولد في مايو 1922م، وتحصل على درجة ليسانس الممتازة من جامعة الإسكندرية سنة 1943م، وفي سنة 1947 تحصل على درجة الماجستير في الأدب، من قسم اللغة العربية كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وفي سنة1951م تحصل على الدكتوراه في اللسانيات، من جامعة لندن ببحث عنوانه" دراسة نقدية للملاحظات الصوتية للنحاة العرب" وهو من آثار الدكتور التي لم تنشر بعد. وقد تدرج في وظائف أعضاء هيئة التدريس لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، حتى توفي في 21 ديسمبر 1963 بالإسكندرية تاركا من الأعمال العلمية المنشورة وغير المنشورة.

- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، الإسكندرية.
- اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، دار المعارف، الإسكندرية.
- بحث اصطلاح الكتابة العربية.
- بحث في علم الأصوات.

كما ساهم في إثراء المكتبة العربية بترجمة العديد من المؤلفات. مثل:

- الاتجاهات في علم اللغة للمؤلف سومر فيل.
- كتاب الشعر الإنجليزي الحديث من حيث الشكل، تأليف" هاربرت رايد" .
- مقدمة ديوان طرفة بن العبد للمستشرق " ماكس سليفون" .
- مقدمة ديوان عبيد بن الأبرص للمستشرق" شارلز لاسل" .
- مقال عن دراسة الشعر، من تأليف " ماتيوز أرنولد"
- الفصلان الأول والثاني من كتاب الوهم والواقع دراسة في أصول الشعر، لكريستوف كورول.
- بحث لغة الحيوان واللغة الإنسانية، تأليف " بنفينست"[3]

3. الببليوغرافيا:

إن كلمة الببليوغرافيا "BIBLIOGRAPHIE" من بين الألفاظ والمصطلحات التي صعب على الباحثين اختيار المصطلح الأدق الذي يعبر عنها، هذا ما أدى إلى تعدد مفاهيمها عبر التاريخ، وتشعب المصطلحات الدالة عليها، فالتعامل مع المصطلح في حد ذاته لا زالت تعتريه بعض الغموض في تحديد معالمه الحقيقية، إلا أن البديهية التي نسلم بها تكمن في أن الببليوغرافيا مقرونة بالكتاب[4].

وهي مصطلح أجنبي ذو أصل يوناني وهو مكوّن من كلمتين هما (Biblion) بمعنى كتاب، و(Graphein) وتعني يكتب، ولذا كانت تعني منذ ظهورها خلال العصر الإغريقي وحتى القرن السابع عشر" نسخ الكتب" [5].

وانتقلت الكلمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية الحديثة بنفس المعنى السابق، حتى تحول معناها خلال القرن السابع عشر إلى معنى آخر وهو" الكتابة عن الكتب"[6]، وقد

ورد في أدبيات علم المكتبات والمعلومات عدة تعاريف اصطلاحية لكلمة الببليوغرافيا ومن هذه التعاريف" [7]:

أ- **الببليوغرافيا كعلم:** هي مجموعة الحقائق العلمية المنظمة التي تعالج الكتاب من جميع نواحيه، سواء النواحي المتصلة بكيانه المادي، أو النواحي المتعلقة بوظيفته بصفته وعاء، يحمل الأفكار وينقل الحقائق.

ب- **الببليوغرافيا كفن :** هي مجموعة الطرق الفنية الضرورية للتحقيق من المعلومات الأساسية الخاصة بالكتب، وتنظيم هذه المعلومات ثم تقويمها.

ت- **الببليوغرافيا:** عبارة عن قائمة بمواد منشورة أو غير منشورة تعطي بيانات عنها، وتكون مرتبة وفقا لنظام معين، وقد تكون مجموعة حول شخص أو موضوع أو زمان أو مكان أو بشكل عام أو محدد.

ث- **الببليوغرافيا :** عبارة عن علم صناعة الكتب وفن سرد الإنتاج الفكري ووصفه وتسجيله.

من خلال التعاريف السابقة لمصطلح" الببليوغرافيا" نجدها تتفق في كون هذا المصطلح يعني وصف الكتب أو الكتابة عن الكتب من خلال وصف تأليفها وطباعتها ونشرها...الخ، ويقابلها في العربية " وراقة ".

4. **اللسانيات التمهيدية:** أو ما يعرف باللسانيات التيسيرية و هو مصطلح استخدمه "حافظ اسماعيلي" في كتابه " اللسانيات في الثقافة العربية " حيث تشكل الغاية التعليمية الهدف الذي تروم تحقيقه اللسانيات التمهيدية ، وهذا يستوجب أن يكون كل مؤلف من المؤلفات اللسانية التمهيدية بنية خطابية متكاملة علميا ومنهجيا، بدءًا بعنوان الكتاب، مروراً بمقدمته وعناوين أقسامه، وأبوابه، وفصوله، وصولاً إلى خاتمته"[8].

ذلك أن متلقي الكتابة اللسانية التمهيدية كما يرى حافظ إسماعيل " قارئ مبتدئ غايته التعرف إلى مبادئ اللسانيات، باعتبارها علما جديدا، لذلك يجب على من يؤلف في هذا اللَّون من الكتابة أن يختار ما يراه مناسباً لجلب القارئ، وإثارة انتباهه، وإغرائه

بعبارات محبوكة توحي إلى التبسيط والتسهيل... كما يتم التركيز على كلمة مفتاح تشكل بؤرة العنوان وهدف الكتاب الأسمى"[9]. وهو ما نلحظه في كتاب الدكتور محمود السعران من خلال الكلمة المفتاحية في كتابه والمتمثلة في كلمة " مقدمة " التي تشير نوعا من لفت الانتباه إلى القارئ العربي. ذلك أن الكتب اللسانية التمهيدية تلتزم بالجانب التعليمي التبسيطي وبإعطاء القارئ المبتدئ المفاتيح التي تمكنه من فك مستغلقات اللسانيات، وتمكنه من مبادئها [10].

وعلى الرغم من المساهمة المعتبرة للسانيات التمهيدية في تقدم البحث اللساني العربي في بعض مناحيه، فإنها لم تسلم في نظر الباحثين من بعض الهفوات التي يمكن تلخيصها فيما يلي:[11]

- **الارتباك في تحديد مجال البحث اللساني:** ويرجع هذا الارتباك والغموض إلى طبيعة المصادر التي تقدمها بعض الكتابات التمهيدية، وهي مصادر عامة بعيدة نسبيا عن اللسانيات بمعناها العلمي الدقيق. كما يفسر هذا الارتباك بعدم تحديد موضوع علم اللغة تحديدا دقيقا، فالمتتبع لموضوعات الكتابة اللسانية التمهيدية، وتحليلها يلاحظ أنها حصرت مجالات علم اللغة في نطاقه الواسع، أي دراسة اللغة في إطارها العام تاريخيا وحضاريا واجتماعيا ونفسيا ولم تهتم بالمبادئ اللسانية العامة إلا في حالات نادرة.
- **غياب تقنيات التحليل اللساني:** يشكل الجانب التقني أحد الجوانب الأساسية التي تتوسل بها اللسانيات في فرض منهجية علمية للتحليل، غير أن الأمر في الكتابة اللسانية التمهيدية ليس على هذه الشاكلة. حيث يمكن القول أنه من النادر وجود كتابة تعرض التقنية المتبعة في التحليل اللساني، أي أدوات تقنية وطرق إجرائية في التحليل المباشر للغة. رغم أن أغلبية الكتابات اللسانية التمهيدية ذات منحى وصفي بالأساس، فإنها لم تعمل على تقديم المنهجية المتبعة في هذا الاتجاه من اتجاهات الكتابات اللسانية التمهيدية، وهذه الأخيرة تتحدث عن موضوعات علم اللغة بإسهاب إلاّ أنها لا تتطرق للكيفية التي يتم بها تناول هذه الموضوعات لسانيا، سواء في إطار المنهج الوصفي أم التاريخي أم أي منهج آخر، وهذا ما يضع القارئ أمام

تساؤلات عديدة وتربكه. والسبب في ذلك طبعا هو أن تعامل الكتابة اللسانية التمهيدية مع تقنيات التحليل عموما ظل منحصرا في تقديم معلومات تعود إلى بداية هذا القرن في صيغ يغلب عليها الطابع الأدبي.أما النفاذ إلى عمق المناهج اللسانية، باعتبارها أجهزة مفاهيمية لها أدواتها الواصفة التي تضبط عملية التحليل الوصفي للغة معينة فذلك ما لم تتمكن الكتابة اللسانية التمهيدية من القيام به بشكل كاف، وإن كانت بعض الكتابات اللسانية الصادرة منذ الثمانينات قد تجاوزت نسبيا هذا النقص.

- **عدم مواكبة النظريات اللسانية:** تتميز النظريات اللسانية بالتجدد، وخاصة النماذج المتأخرة منها، كتلك التي عرفها النحو التوليدي، والنحو الوظيفي، غير أن المطلع على الكتابات اللسانية العربية التمهيدية يجد أنها على تسير على هذه الخطى فهي لا تواكب في مجملها التطورات التي حصلت في البحث اللساني الحديث، وما عرفته النظريات من تغييرات وتطورات جديدة، وتكاد المرحلة التي تتناولها الكتابة التمهيدية المرحلة البنيوية، في إطارها البنيوي في انجلترا . وهذا ما يظهر جليا في كتابات محمود السعران الذي ينحاز دائما إلى المدرسة الاجتماعية التي يتزعمها "فيرث" باعتباره أستاذه الذي درسه. وتظهر عدم المواكبة خصوصا في كتابات لسانية تمهيدية ينحصر النظر فيها في مجالات لسانية عديدة (صوت تركيب دلالة) في فترة زمنية محددة من تاريخ اللسانيات ولا تتجاوزها دون أن تعير اهتماما للتطورات التي عرفتها اللسانيات في إطار النحو التوليدي مثلا. وهناك جوانب عديدة تمثل لعدم قدرة العديد من اللسانيين مواكبة مستجدات البحث اللساني وبذلك لم تقدم الكتابة التمهيدية للقارئ العربي المبتدئ المعلومات الكفيلة بمواكبة مستجدات النظريات اللسانية وتطوراتها[12].

وترى "فاطمة الهاشمي بكوش" أن اللسانيين العرب كانوا يتوجسون مما قد يجابهون به من ردود أفعال مناهضة لنشاطهم سواء من المشتغلين باللغة أو من الجهات الجامعية والمؤسسات العلمية التي ترعى النشاط العلمي. فقد استشعروا صعوبة تقديم

المناهج اللسانية الحديثة للقارئ العربي، ولم تكن الصعوبة في عملية عرض هذه النتائج بقدر. ما ارتبطت الآخر بجدوى هذه العملية[13].

في حين نجدها ترى أن لهذا الشعور ما يسوغه في وضعية الدراسات اللغوية في تلك المرحلة، إذ اتسمت بالجمود لولا محاولات متفرقة كان هدفها إحياء النحو، وإعادة صياغة قواعده. فقد ساد الاعتقاد، ولعله سائد لدى الكثيرين اليوم أيضا بأن علوم العربية بلغت النضج والاكتمال، وهو اعتقاد جعل العربي ينظر بقداسة للإرث اللغوي الذي خلفه القدماء.[14] يقول محمود السعران إن أغلب المشتغلين باللغة في البلاد العربية "يرفض النظر في هذا العلم الجديد، أو لا يحاول تفهمه، أو يعجب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد من البلاد الغربية وخيرهم ظنا بهذه الدراسة الجديدة وبالقلة القائمة بها من أبناء العربية يعد علم اللغة أو بعض فروعه، كعلم الأصوات اللغوية ترفا علميا لم يؤن الأوان بعد للانغماس فيه أو التطلع إليه"[15].

وقد أشار "السعران" إلى أن علم اللغة لا يزال غريبا في أوساط المشتغلين باللغة " فهم قد يفهمون من دراسة اللغة، دراسة النحو، والصرف أو الاشتقاق ومعرفة الشوارد النادرة، وحوشيّ الكلام، وتمييز الفصيح من غير الفصيح ومعرفة معاني الكلمات، وتمييز الدخيل من الأصيل، أو الاشتغال بتأليف المعجمات أو غير ذلك مما لا تدعو حاجة إلى استقصائه وليس شيء من هذا ولا هذا كله، يكون ما تعارف المحدثون في أوربا وأمريكا وروسيا على تسميته (علم اللغة)"[16].

5. مفهوم اللسانيات عند محمود السعران

عرف محمود السعران اللسانيات من خلال كتاباته اللسانية التمهيدية بالإشارة إلى أهميتها وقد عدّها "علم يرشدنا إلى مناهج سليمة لدرس أي ظاهرة لغوية، وهو يهدينا إلى مجموعة من المبادئ والأصول متكاملة مترابطة عن اللغة وحقيقتها ينبغي أن تكون في ذهن الباحث اللغوي على الدوام أيا كان موضوع بحثه.[17] إن علم اللغة عند السعران هو وجهة النظر الجديدة أو الفلسفة الجديدة التي حلت محل وجهات النظر القديمة والفلسفات اللغوية السابقة. وعلم اللغة قد تجنب أخطاء جوهرية في الفلسفات اللغوية القديمة، وقد قدم مبادئ لم يعد شك في أنها أكمل وأشمل وأصدق وأضبط، واعتمد

على وسائل وآلات أدق مرات ومرات من وسائل الأقدمين وآلاتهم. إنه بالنسبة إلى الفهم اللغوي القديم كعلم الطبيعة أو الكيمياء أو الفلك أو الرياضيات بالقياس إلى نظائرها عند اليونان مثلا"[18]. فهو عنده-علم اللغة- المنهاج الجديد في فهم اللغة ودراستها، يوصي بدراسة جهود الأقدمين والتنقيب فيها لتأريخها التأريخ الصحيح، ولاستحيائها واستهدائها.

6. قراءة في كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور" محمود السعران" :

وضع محمود السعران كتابه، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي سنة 1962م، يقع في (462صفحة) من الحجم المتوسط، وقد اعتمد السعران فيه على مصادر عربية عدة منها: الكتاب لسيبويه، ودلائل الإعجاز للجرجاني وكتابي ابن جني (سر صناعة الإعراب والخصائص) وبعض المراجع الحديثة مثل كتاب اللغة والمجتمع للدكتور: تمام حسان وكتب إبراهيم أنيس، اللهجات العربية ودلالة الألفاظ ، وغيرهم.

أما المراجع الأجنبية في الكتاب فهي على قسمين : الأول ، المراجع الأنجليزية الخاصة بالدرس اللساني ، ككتاب اللغة لبلومفيلد وكذلك كتاب لبنفنيست و الثاني ، كتب ومراجع باللغة الفرنسية، طبعا تختص بالجانب اللساني أيضا ككتاب " محاضرات في اللسانيات العامة " لمؤلفه" فرديناند دو سوسير.

لكن الملاحظ في العنوان الذي وصفه المؤلف يجده يتكون من عنوانين عنوانا رئيسيا هو: **علم اللغة** ثم أضاف إليه عنوانا فرعيا هو: **مقدمة للقارئ العربي** الذي يعتبر كلمة مفتاح تشكل بؤرة العنوان، و هدف الكتاب الأسمى، لذلك نجده قد وضع مقدمة طويلة يتكلم فيها عن مبادئ هذا العلم، يقول " ولذلك مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيئا ما تهيئه لذهن القارئ الشادي لتلقي أصول هذا العلم بأيسر سبيل، وأدنى مجهود" [19]. حيث يتطلع كل كاتب إلى مقدمة تهيئ القارئ لاستقبال مشروع قيد الإنجاز يحفزه للاستمرار في مواصلة القراءة أو الإعراض عنها ورفضها[20].

لهذا نجد صاحب كتاب" دع القلق و أبدأ الحياة" يرغب في قراءة الصفحات الأولى من الكتاب لما يترتب عليها من نجاح التلقي أو فشله. فهو يطلب من القارئ قراءة الصفحات الأولى من الكتاب. ويحددها بأربعة وأربعين صفحة فيقول: " وإن لم تشعر أنك اكتسبت

قوه جديدة وحافزا جديدا للتوقف عن القلق والاستمتاع بالحياة، أرم بالكتاب إلى النار لأنه لن يفيدك بشيء"[21]. ومن هنا تأتي أهمية قراءة مقدمات الكتب.

يرى المؤلف أن النظر في اللغة وطرق درسها جد قديم، وللعرب في ذلك آثار كبيرة معروفة علينا أن نتدبرها ونقوّمها لإبراز دورهم في تاريخ الدراسات اللغوية. غير أنه يقر بأن: تعريفنا بالنشاط اللغوي العلمي في أحدث صورة لا يزال تعريفا هيّنا غامض القسمات ينتظر الجهود الجادة المتلاحقة من الأفراد والهيئات[22].

وأن محاولته هذه في" علم اللغة مقدمة للقارئ العربي " جاءت لتبسيط هذا العلم، لهذا فهو يقول: " لقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدقة والسلامة، حتى يستقل القارئ المبتدئ لتحصيل ما فيه ومدارسته، وينتقل منه آمنا إلى مطالعة أصول هذا العلم منقولة إلى العربية، أو مكتوبة بلغاتها"[23].

كما عرض من خلال تمهيد بعنوان "نحن وعلم اللغة" أن دراسة اللغة أصبحت علما من العلوم، له ما لأي علم مستقل موضوعه، ومنهاجه، ووسائله"[24].

إن سمة التبسيط هي الأساس في الكتابات لهذا يدعو "محمود السعران" الباحث العربي أن يذلل الصعوبات، ويفصل فيما لم تنهض بمثله التصورات اللغوية العربية القديمة[25]، يقول:" فقد فصلت الحديث في موضوعات لا يفصل فيها الغربيون، وأوجزت حيث لا يوجزون، وأكثرت من الأمثلة والشواهد في مواضيع، وأقللت منها في آخر، وكنت لا أدع مناسبة في الأغلب الأعم، دون تطبيق ما أقرر على الكلام العربي بيانا لصلاحية اتخاذ الأسس والتصورات الجديدة عند دراسته، ولمدى ما تقدمه من نفع لا تنهض بمثله التصورات اللغوية العربية القديمة وحدها[26].

ويعرض محمود السعران النظريات اللسانية الغربية كلها ليتمكن القارئ العربي من الاطلاع على الفكر اللساني الغربي[27] " وأنا لم ألتزم في جملة ما عرضت مذهبا بعينه، في كل أصوله وفروعه من مذاهب الدرس اللغوي المتعددة، بل ركنت إلى التعريف بالأصول العامة التي أرتضيها، والتي قل أن يختلف فيها أصحاب هذا العلم... حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة، وعلى دراية بالفلسفة التي قامت عليها، وعلى علم بأهم المؤلفات فيها. فلا يضل الطريق في زحمتها عندما يتاح له الاتصال بشيء منها"[28].

أما السعران فقد ألح بأن اللغة تقوم على أسس" علمية" إذ تتخذ من الرسائل ما ييسر لها الوفاء بعقلها على أدق وجه، وهذا لا يمنع أن يختلف المتحدثون فيما بينهم في بعض مسائل اللغة، ولكنهم يتفقون جميعا في أن دراستهم الجديدة تتسم بالعلمية[29].

قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة أبواب، وقد خص **الباب الأول** للتعريف بعلم اللغة، موضوعه وماهيته، مؤكداً على أن هذا العلم يتخذ اللغة موضوعا له. مستشهدا بذلك بما قدمه " دوسوسير" De Saussure Ferdinand في محاضرات في علم اللغة العام" ، وحدد" أن موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها"[30].

بالإضافة إلى التركيز على أن " اللغة التي يدرسها علم اللغة ليست الفرنسية، أو الأنجليزية، أو العربية، ليست لغة معينة من اللغات، إنما هي" اللغة" التي تظهر و تتحقق في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني"[31]. فموضوع علم اللغة إذن ليس " لغة" معينة من اللغات، بل " اللغة" من حيث هي وظيفة إنسانية.

أما معنى قول" دو سوسير أن علم اللغة" في ذاتها" فهو أنه يدرسها من حيث هي لغة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهر فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها، فليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسنا إياها، وينحي جوانب أخرى استهجانا لها، أو استخفافا بها، أو لغرض في نفسه أو لأي سبب آخر من الأسباب [32].

أما أن علم اللغة يدرس اللغة " من أجل ذاتها" فمعناه أنه يدرسها لغرض الدراسة نفسها. يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته أن يحقق أغراضا تربوية مثلا، أو أية أغراض عملية أخرى، إنه لا يدرسها هادفا إلى " ترقيتها" أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر إن عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية[33].كما نجد السعران يمايز بين الفلسفة التي تتطلبها اللغة والفلسفة التي تقوم على المنطق العقلي.

ثم فصل السعران في عرض الآراء والنظريات التي تحدثت عن نشأة اللغة قديمها و حديثها، ثم تحدث عن طبيعة اللغة عند اللسانيين الغربيين وتحدث عن السميولوجيا، وعن علاقة اللغة بالعلوم الأخرى[34].

كما نجد السعران يمايز بين الفلسفة التي تتطلبها اللغة والفلسفة التي تقوم على المنطق العقلي، رافضا بذلك إقامة الفلسفة اللغوية على أساس منطقي أو عقلي، يقول السعران:" إن إقامة " الفلسفة" اللغوية على أساس " منطقي" أو "عقلي" بات أمرًا مرفوضا"[35]. في حين نجده يجيز نوعا آخر من الفلسفة، أي فلسفة تقوم على أساس فهم ماهية اللغة، يقول في ذلك:" ولكن لا بد من "فلسفة" عامة تقوم عليها دراسة اللغة، ونقصد بالفلسفة هنا مجموعة من المبادئ أو الأصول أو الأسس، ومن الخطأ أن ندرس اللغة مستعينين بفلسفة مستمدة من غير موضوع الدراسة وهو اللغة، أي من الخطأ أن نستعين بفلسفة مفروضة على الموضوع من خارج، أو فلسفة تحقق غرضا آخر غير درس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" [36].

أما **الباب الثاني** فقد تناول فيه أحد مستويات اللغة، وهو المستوى الصوتي الذي أصبح علما مستقلا بذاته يعرف بعلم الأصوات اللغوية، وهو علم يمثل في رأي السعران" حجر الأساس لأي دراسة لغوية"[37].

يرى الدكتور حلمي خليل أن السعران يعد من أوائل علماء اللغة العرب في العصر الحديث الذين استعملوا مصطلح البنية Structuralisme, وتحليل البنية عنده يبدأ من المستوى الصوتي Phonetics ولكنه يمهد لذلك بلمحة تاريخية عن تطور الدراسات الصوتية عند الهنود واليونان والرومان والعرب حتى يصل إلى التطور الذي أحرزته هذه الدراسات في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية [38].

ويعرف الدكتور السعران علم الأصوات بأنه" الدراسة العلمية للحدث الكلامي Speech event[39]، وبناءً على ذلك فإن دراسة الأصوات اللغوية أو الحدث الكلامي تمر بمراحل أساسية هي:[40]

- جهاز النطق وحركاته التي ينتج عنها الصوت اللغوي، وهو ما يختص به علم الأصوات الفيسيولوجي Phonetic. Physiologicol

- دراسة انتقال الصوت أو علم الأصوات الأكسوتيكيAcuasticPhonetics
- دراسة استقبال أذن السامع للصوت اللغوي، ويختص به علم الأصوات السمعي Auditouyphonetics.

كما يوجز لنا المؤلف قيمة هذا العلم، و ما يمكن أن يؤديه من خدمات[41] :

1. لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما، دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، و أنظمتها الصوتية.
2. بيان كيف أن الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى.
3. علم الأصوات اللغوية لا يقتصر على خدمة الدراسة اللغوية الوصفية، أي لا يقتصر على وصف الأصوات والأنظمة الصوتية الخاصة بلغة ما في فترة معينة من تاريخها بل يخدم الدراسة اللغوية التاريخية و الدراسة اللغوية المقارنة كذلك.
4. يعين علم الأصوات على وضع أبجديات دقيقة للغات التي ليس لها كتابات حتى الآن، ويعين في إصلاح الأبجديات التقليدية لتكون أدق تمثيلا للنطق.
5. لا غنى للمعاجم عن الاستعانة بالثقافة الصوتية اللغوية فدور المعاجم لا يقتصر على تبيان معاني المفردات وتطورها، بل يتعداه إلى تمثيل نطق هذه المفردات.
6. إن علم الأصوات اللغوية يقدم عونا كبيرا في إجادة نطق اللغة الأصلية وفي تعلم نطق اللغات الأجنبية.

ثم يخصص **الباب الثالث** للنحو. وقد قدم له بأفكار عن طبيعة تركيب اللغة، ثم تحدث عن النحو الوصفي، و النحو المقارن، وعن موضوع كل نوع وتعريفه[42]. حيث انتقل من التحليل الفنولوجي إلى التحليل النحوي، ويرى أن ذلك يتم من خلال موضوعين منفصلين ومتصلين في آن واحد، وهما[43]:

1. المورفولوجيا Morphology
2. النظم Syntax

ويرى السعران أن من أهم صفات التحليل النحوي لهذه الأشكال النطقية، أن يستبعد التقديرات الفعلية وما يتصل بها من تأويل وتفسير ومن ثم فإن أهم ما يوصف به التحليل

النحوي أن يكون شكليا أو صوريا، لأن هدفه هو الصور اللفظية وتصنيفها وتوزيعها على أسس معينة [44].

وفي **الباب الرابع** تحدث عن علم الدلالة أو دراسة المعنى، وفيه تعرض لدراسة المعنى وصفيا وتأريخيا، وكيف أن المعنى القاموسي قاصر، وكيف يحصل المعنى ويصل الكلام، ويتغير المعنى. ثم عرض لمناهج دراسة المعنى ابتداءً باللساني الفرنسي" ميشال بريل" الذي يعد مؤسس الدلالة، إلى المدارس التي أتت بعده وعلى رأسها المدرسة الاجتماعية بريادة "دو سوسير" ثم المدرسة الاجتماعية الإنجليزية وعلى رأسها" فيرث"[45]. حيث يرى الدكتور حلمي خليل أن المستوى الدلالي في الكتاب يغلب عليه الطابع التاريخي، حيث يقرر السعران أن دراسة المعنى أو علم الدلالة SémanTies باعتباره فرعا من فروع علم اللغة هو غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية و المعجمية- أو كمال يقول- هو قمة هذه الدراسات لأن علم اللغة لا يتيسر أن يقوم دون تصور الوحدات اللغوية وما يرتبط بها من معنى [46].

أما **الباب الخامس** و الأخير، فكان عرضا مفصلا لتاريخ الدراسات اللغوية منذ العصور القديمة عند الهنود، واليونان، والرومان إلى العصور الوسطى عند العرب، والغربيين، إلى عصر النهضة، والقرنين الثامن والتاسع عشر، ثم القرن العشرين، إذا استقلت الدراسات اللسانية عن سائر العلوم واستقلت بمنهج خاص [47].

7. تأثير الدراسات اللغوية الغربية في الكتاب:

إن المتصفح لكتاب السعران يجده لا يخلو من مظاهر التأثر بالدراسات الغربية لعل أبرزها:

1. في التمهيد عند توضيحه لموضوع الدراسة اللغوية وهو " وصف اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها [48]، كما ذكره مرة أخرى في الباب الأول فقال: موضوع علم اللغة الوحيد و الصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها[49]، وهو طرح قدمه العالم السويسري " دو سوسير".
2. استخدامه لمصطلحات الدرس اللغوي الغربي (الفونولوجيا phonologie phonology (، و(علم الدلالة Bedeutungslehne أو Sémantics أو Sémantique)، والمرفولوجيا

أو علم الصيغ أو دلالة النسبة (Formenleehne أو WortbldungsleehneأوMorphology والفونيم (Phoneme) و(علم الأصوات اللغوية Phonetique أو Phoneme)[50].

- اللغة نظام اجتماعي،" سائر اللغات وصور الكلام الإنساني نظام اجتماعي معين تتكلّمه جماعة معينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع"[51]. وهي من تأثيرات درس سوسير.
- اللغة كلام[52].
- علم اللغة جزء من علم أعم هو علم العلامات (السيميولوجيا)[53].
- العلامة اللغوية[54]. والقيمة ا للغوية[55]. وهي أيضا من تأثيرات درس"سوسير".
- ذكره للمناهج المستخدمة لدراسة اللغة (الوصفي والتاريخي والمقارن والتفريق بينهما[56]

3- ذكره لأسماء علماء اللغة الغربيين مثل:

- دو سوسير[57].
- يسبرسن[58].
- إدوارد سابير[59].
- فيرث ويتبع اسمه بدعاء رحمه الله أو يسبقه بكلمة أستاذي المرحوم[60].
- جماعة براغ تروبسكوي، جاكبسون[61].

إضافة إلى أنه زود الكتاب بمعجم خاص بالمصطلحات اللغوية باللغة الإنجليزية ومقابلها باللغة العربية.

4. في تنظيمه لكتابه فكما رأينا سابقا أن السعران يعد من أوائل علماء اللغة العرب في العصر الحديث الذين استعملوا مصطلح البنية، فيمثل الكتاب الصورة العلمية لعلم اللغة أو الجانب النظري فيما يسمى بالبنيوية الوصفية في دراسة اللغة من حيث الأصول العامة و مستويات التحليل، فجعل الباب الأول عن علم اللغة. موضوعه و أهميته، ثم بدأ بالمستوى الصوتي في الباب الثاني، ثم المستوى الصرفي والتركيبي(المستوى النحوي) في الباب الثالث عن النحو، ثم المستوى الدلالي في الباب

الرابع عن علم الدلالة أو دراسة المعنى، ثم كان الباب الخامس عن تاريخ الدراسات اللغوية وختمه بمعجم المصطلحات[62].

5. توضيحه لغربة هذه الدراسة عن جمهور المتخصصين العرب في المسائل اللغوية، فهو يراهم لا يزالون يدورون حول محور قديم[63]. وأن فهمهم لطبيعة اللغة ووظيفتها وطرائق دراستهم فهم جد مختلف ومعظم إنتاجهم في الميادين اللغوية قاصر ومقصر[64]، فقال:" وإنا لنعالج أحيانا مشكلات لغوية خطيرة على جهل بما يراه العلم اللغوي الحديث من البسائط والأوليات.

ومن ذلك أن علماءنا يتحدثون عن "تيسير النحو" وعن " تيسير العربية و ترقيتها"...ويقضون في كل هذا، ولو كانت لأغلبهم معرفة بنتائج علم اللغة وبشيء من الدراسات اللغوية الحديثة لكان لهم في هذه الموضوعات العلمية التطبيقية أقضية أخرى أسلم أصلا، و أوضح سبيلاً"[65]. هذا ويرى حلمي خليل أنه بظهور هذا الكتاب- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - عام 1962 قد اكتملت لأول مرة في اللغة العربية الصورة العلمية لعلم اللغة، وبمعنى أدق الجانب النظري فيما يسمى بالبنيوية الوصفية في دراسة اللغة من حيث الأصول العامة و مستويات التحليل[66].

وجهة نظر: ترى الباحثة صورية جغبوب أنه إذا كانت بعض الكتابات قد نجحت في أن تأخذ أمثلتها من العربية، فإن ما يلاحظ عليها أن أمثلتها بسيطة، وتطرح أكثر من إشكال نظري، كما هو الشأن بالنسبة إلى تحديد بنية الجملة العربية، إذ لا نجد تصورا واحدا لتمثيل بنية الجملة البسيطة، سواء تعلق الأمر بالمنظور البنيوي أو المنظور التوليدي[67].

وترجع هذه النقائص إلى جملة من العوامل يمكن تلخيصها في[68]:

- الإفراط في التبسيط.
- الجنوح إلى التعميم الشديد.
- إهمال المصادر العلمية.

كل ذلك يتعارض مع كل كتابة لسانية تمهيدية جادة ومنفتحة، يمكن أن تسهم في خلق وعي لساني جديد في الثقافة العربية.é

وخلاصة القول: إن الكتابات التمهيدية ارتبطت باللسانيات البنيوية التي كانت من جهتها الفاصلة الكبرى في تأريخ التفكير اللساني، وقد حاول اللسانيون العرب تقديم جملة من مفاهيم اللسانيات البنيوية إلا أن معظم هذه المفاهيم المقدمة في إطار اللسانيات العربية، إنما كانت ترجع إلى المصادر الثقافية والدراسية للسانيين العرب، وهؤلاء لم يحاولوا الإحاطة بسائر مفاهيم اللسانيات البنيوية التي تشعبت في عدة مدارس[69].

8. خاتمة

هذه إذن أهم صور النشاط اللساني العربي في العصر الحديث وبالضبط جهود الدكتور محمود السعران، والتي لا ننكر فضل جهوده في الاجتهاد والمحاولة الدؤوب لتأسيس لسانيات عربية حديثة و من خلال تصفحنا لكتابه، خلصنا إلى نتائج أهمها:

1. تأثر المؤلف بالمناهج الغربية واستفادته منها استفادة كبيرة.
2. انحيازه الكامل إلى المدرسة الاجتماعية التي يتزعمها " فيرث" باعتباره أستاذه الذي درسه.
3. فضل الكتّاب العرب المثقفين وعلى رأسهم الدكتور السعران في تبسيط المفاهيم اللغوية ومناهجها للقارئ العربي المتعطش لمعرفة هذا العلم الغربي وفهمه من خلال الكتابات اللسانية التمهيدية.
4. - نجد السعران في كتابه يحيلنا إلى مصادر ومراجع متنوعة وهذا مما يرهق القارئ المبتدئ وعدم التمييز في تلكم الكتب بين آرائه وآراء القدماء والمحدثين.

كما نوصي في هذه الورقة البحثية بتشجيع الكتابات اللسانية التمهيدية التبسيطية التي تقدم اللسانيات إلى القارئ المبتدئ بالشكل الصحيح.

هوامش البحث:

1- عبد القادر شاكر: إلى أين يتجه البحث اللغوي الحديث؟ http://lahajaT.maktoob.com بتاريخ 28 جانفي 2020، الساعة: 19:21.

2- المرجع نفسه

3- المعلومات عن الدكتور من غلاف كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربي درا الفكر العربي، ط02، 1992، نقلا عن : سعاد بنت سعيد الدعيشية، بحث مقدم للدكتور: غالب فاضل المطلبي، جامعة نزوى، سلطنة عمان، ص04.

4- بوبكر فاطمة: منهج الإسناد ودوره في ضبط الببليوغرافيا العربية : مقارنة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور: صاحبي محمد، جامعة وهران، السانيا، الجزائر، 2010- 2011، ص 60.

5- سعود بن بن عبد الله الخزيمي : المراجع العربية – دراسة شاملة لأنواعها العامة والمتخصصة، الإدارة العامة للبحوث، المملكة العربية السعودية، د ط، 1411هـ - 1990م، ص 289.

6- المرجع نفسه، ص 289.

7- غالب عوض النوايسة: خدمات المستفيدين من المكتبات ومراكز المعلومات ، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط01، 2000م، ص 93.

8- حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي و إشكالاته، الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط01، 2009م، ص99.

9- المرجع نفسه، ص104.

10- المرجع نفسه ، ص 118.

11- صورية جغبوب: قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، أطروحة دكتوراه دولة،إشراف عز الدين صحراوي،جامعة فرحات عباس،سطيف،الجزائر،2011-2012،ص 22 .

12- المرجع نفسه،ص،ص 23-24.

13- فاطمة الهاشمي بكوش:نشأة الدرس اللساني العربي الحديث-دراسة في النشاط اللساني العربي،أيتراك للنشر،مصر،ط01، 2004،ص 16.

14- المرجع نفسه، ص 16.

15- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص 22.

16- المرجع نفسه،ص 21.

17- المرجع نفسه،ص 21.

18- المرجع نفسه،ص،ص 12-22.

19- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، د ط، دت، ص 06.

20- عيسى مومني : ببليوغرافيا اللسانيات، قراءة في أول مؤشرات المحاورة ومداخل السياقات المعرفية اللسانية، دار العلوم، الحجار، عنابة، الجزائر، د ط، 2012م، ص 27.

21- المرجع نفسه، ص 27.

22- المرجع نفسه، ص 41.

23- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص 06.

24- المرجع نفسه، ص 11.

25- عيسى مومني: ببليوغرافيا اللسانيات، مرجع سابق، ص46.

26- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص07.

27- سلمان عباس عيد: تقويم الفكر النحوي عند اللسانيين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2016م، ص 90.

28- المرجع السابق، ص07.

29- المرجع السابق، ص 93.

30- De Soussure Ferdinand : Cours de linguistique général, quatrième édition Payant paris ,1949 .p317

نقلا عن محمود السعران:علم اللغة مقدمة للقارئ العربي،ص:49.

31- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 49.

32- المرجع نفسه، ص 51.

33- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص51.

34- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للنشر، مصر، ط01، 2004م، ص51.

35- المرجع السابق، ص 74.

36- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص77.

37- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، تقديم: حلمي خليل، دار الفكر العربي، ط02، 1992م، ص123.

38- المرجع نفسه، ص(ط1).

39- المرجع نفسه، ص(ط).

40- المرجع نفسه، ص(ط).

41- المرجع نفسه، ص ص 126-127.

42- فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، مرجع سابق، ص51.

43- المرجع السابق، ص(ك)

44- المرجع نفسه، ص (ك).

45- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، مرجع سابق، ص51.

46- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، تقديم: حلمي خليل، مرجع سابق، ص(ل).

47- المرجع السابق، ص ص 51-52.

48- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، تقديم: حلمي خليل، مرجع سابق، ص 18.

49- المرجع نفسه، ص49.

50- المرجع نفسه، ص 16.

51- المرجع نفسه، ص 49.

52- المرجع نفسه، ص 54.

53- المرجع نفسه، ص 63.

54- المرجع نفسه، ص 65.

55- المرجع نفسه، ص 303.

56- المرجع نفسه، ص 78.ص 79، ص311.

57- المرجع نفسه، ص 51 وغيرها.

58- المرجع نفسه، ص 54.

59- المرجع نفسه، ص ص 56و60.

60- المرجع نفسه، ص 81.

61- المرجع نفسه، ص 199.

62- سعاد بنت سعيد الدغيشية: أثر الدراسات اللغوية الغربية في الدكتور محمود السعران من خلال كتابه" علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، إشراف الدكتور: غالب، فاضل المطلبي، جامعة نزوى، سلطنة عمان، ص12.

63- المرجع السابق، ص22.

64- سعاد بنت سعيد الدغيشية: أثر الدراسات اللغوية الغربية في الدكتور محمود السعران من خلال كتابة" علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، مرجع سابق، ص11.

65- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص23.

66- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، تقديم حلمي خليل، مرجع سابق، ص(ن).

- صورية جغبوب: قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، ص 2467.

68- المرجع نفسه، ص24.

69- صورية جغبوب:قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، مرجع سابق،ص 25.